

خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود



جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل

38. مكابدة الحياة مِن أهمّ أسباب الفوز

7 جمادى الأولى 1380هـ الموافق 28 أكتوبر 1960م

الحمد لله الّذي يبعث اليقظة في الأمّة بعد سباتها، ويقوّي هممها على الإقدام في نيل حظّها، ونشر مبادئ دينها، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، يرفع شأن العاملين المخلصين، ليجعلهم من عباده الأقربين، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي جدّد عهد الأمّة بتلقّي إيمانها وعقيدتها، حتّى تتمكّن من الأخذ بحظّها، وتمثيل نهضتها، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، رجال النّضال، وأعلام الإسلام، رضي الله عنهم إلى يوم يبعثون.

أمّا بعد: فإنّ طرق الحياة كثيرة ومتشعّبة، وأنّ جاذبيّتها عديدة ومتفرّعة، وأنّ الأخذ بأسبابها واجب محتّم، لمن أراد أن يرتقي إلى أعلى الذّروة، ويكتسب الحمد والثناء.

ولكن إذا وقف الإنسان مدهوشًا أمام هذه الطّرق أو أخذ السّبيل القليل الأهمّيّة للوقت الحاضر فإنّه يبوء بالفشل، ويصيبه النّدم على ما أهمل من الأعمال العظيمة، التي تناسب تطوّر ظروفه، وتقدّم بني جنسه، سواء في ميدان الدّين أو في ميدان الحياة.

ونرى في هذه اللّحظة من الواجب المحتّم أن يُعمل الإنسان عقله وتفكيره، ويتدبّر في جميع المواقف الّتي يحياها في وقته الحاضر أو المستقبل، وليقارن بين النّتائج الّتي تؤثّر عليه وعلى غيره، وليتّخذ بعد ذلك السّبيل الملائم الّذي يبعث فيه روح النّشاط والإخلاص، وليجعله من عداد الأحياء الحقيقيّين الّذين اختاروا العزّ لدينهم ولأبناء جنسهم.

وكذلك لو تَرَوَّى كلّ أحد وتأمّل قليلًا لنبذ كلّ أنواع الفضول، وسلك العمل الجدّيّ ولو كان شاقًّا وخطيرًا؛ لأنّ مكابدة الحياة وكفاحها في بداية الأمر لَمِن أهمّ أسباب الفوز والنّصر والتّقدّم في جميع أنواع الحياة.

وهكذا لـمن أراد أن يتفكّر فـي الله وعظمته، ويتدبر فـي قوانينه السّمـاويّة الّتـي كلّـف الله بها عبـاده، وأمرهم بتنفيذها لتكسبهم العزّة والرّفاهية، والتّمتّع بأنواع الـحياة التي خلقها الله من أجلهم.

ولو سلك النّاس طريق السّداد فـي حياتهم، وتركوا الإهـمـال والعناد، لكانوا أعزّ أمّة فـي هذه الأرض، يتنعّمون بخيراتها وطيّباتها، كما قال الله -جلّ شأنه-: {وَلَوْ أَنَّ أَهْـلَ الْقُـرَى آمَنُـوا وَاتَّقَـوْا لَفَتَحْنَـا عَلَـيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَـاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَـا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الأعراف: 96.